

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستهلاك الرشيد

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَالَ مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، وَوَعَدَ مُنْفِقَهُ فِي الْخَيْرِ الْحُسْنَى وَزِيَادَةً، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَتَّى عِبَادَهُ عَلَى التَّوَسُّطِ وَالْإِعْتِدَالِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِسْرَافِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَاهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، ﴿ذَلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿١﴾، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْمَعِيشَةَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِحَاجَةٍ إِلَى أَكْلِ وَشُرْبِ، وَبَيْعِ وَشِرَاءِ، وَدُخُولِ إِلَى الْأَسْوَاقِ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ، فَلَا غِنَى لِلْإِنْسَانِ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَقَدْ حَتَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْكَسْبِ الْحَلَالِ، وَنَهَى عَنْ رُكُوبِ مَذَلَّةِ السُّؤَالِ فَقَالَ: ((لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ))، وَجَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى النَّهْيُ عَنِ الْكَسْبِ الْحَرَامِ، الْقَائِمِ عَلَى الظُّلْمِ وَغَشِّ الْأَنْفَامِ، فَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بَيْنَ النَّهْيِ عَنِ الظُّلْمِ فِي الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ النَّفْسِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿٢﴾، وَالْأَنْبِيَاءُ الْمُصْطَفُونَ عَاشُوا مَعَ أُمَّمِهِمْ، يُصْلِحُونَ حَالَهَا، وَيُرْشِدُونَ إِلَى مَا فِيهِ سَلَامَتُهَا، فَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: ((مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ، كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))، وَبِذَا يَتَجَلَّى الْمَنْهَجُ الرَّائِعُ فِي

(١) سورة الطلاق / ٢-٣ .

(٢) سورة النساء / ٢٩ .

الكسب، إباحة مشروطة بعدم الإضرار بالنفس أو الآخرين. والكسب في الإسلام كذلك وسيلة لزيادة القدرة على طيب الإنفاق، وتقوية الاستطاعة على الجود ومحاسن الأخلاق، ليتحلى المسلم بأخلاق من مدحهم الله وأثنى عليهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (١)، فالإنفاق في وجوه الخير هو الغاية، والمال وسيلة، والعتاء هو الهدف والنتيجة.

أيها المسلمون :

إن الإنفاق المحمود هو ذلك الإنفاق الذي يلتزم صاحبه القيم الخلقية، والضوابط المرعية، فلا إسراف يحرم محبة الله، ويبعد عن عفوه ورضاه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرَهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢)، والإسراف هو تجاوز الحد في الإنفاق، سواء في الشرب والأكل واللباس، أو في غيرها، وهو مسلك ذميم، يسلكه الذين لا يلتفتون إلى المحتاجين في مجتمعاتهم، ولا يدخرون لمستقبل حياتهم، أو يطمعون في سعادة أبنائهم بعد مماتهم، وقد يخيل للمُسرف أنه يتصرف في ملكه فلم يعاتب؟ ويُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ فَلَمْ يُحَاسَبْ؟ وَيُسْرِفُ مِنْ جِيبِهِ فَلَمْ يُعَاقَبْ؟ وهذه نظرة بعيدة عن أوامر الدين، فالله تعالى قد بين لنا في مُحكم كتابه أن المال إنما هو مال الله، وإنما الناس مستخلفون فيه، قال سبحانه: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٣)، ويقول سبحانه: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَكُمْ﴾ (٤)، هذا وإن التبذير أشدُّ إثماً من الإسراف، لخروجه عن الدين والقيم والأعراف، وهو سلوك يُبعد صاحبه عن طريق الناجين، ويجعله من إخوان

(١) سورة الرعد / ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام / ١٤١ .

(٣) سورة الحديد / ٧ .

(٤) سورة النور / ٣٣ .

الشَّيَاطِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١)، وَلَيْسَ مُصَادِفَةً أَنْ يَأْتِيَ النَّهْيُ عَنِ التَّبْذِيرِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالنَّفَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يُوزَنُ فِي نَفَقَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّتَهُ تَجَاهَ الْمُعْزِرِينَ، وَيُوَاسِي بِمَالِهِ الْفُقَرَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ، بَلْ يَتَسَامَى عَنِ الْأُنَانِيَّةِ، لِيُظْفَرَ بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، فَيَكُونُ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا تُطْعَمُوهُ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا، فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾^(٢)، فَشَتَانٌ بَيْنَ الْمُنْهَجِينَ، وَمَا أَبْعَدَ الْفَارِقَ بَيْنَ الْمَصِيرِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :

يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣)، إِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُنْفِقَ بِالْمَعْرُوفِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، وَيَتَصَدَّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ لِيَسْعَدَ فِي مَالِهِ، وَلَا يُغْفَلَ جَانِبَ تَنَمِيَّتِهِ لِمَالِهِ، وَهَذَا الْمُنْهَجُ فِي كَسْبِ الْمَالِ وَالِاسْتِهْلَاكِ، يَضْمَنُ لِلْأَفْرَادِ وَالْأُمَّمِ السَّلَامَةَ مِنَ الْهَلَاكِ، وَتَنْزِلُ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْلَاكِ، وَالْمَرْءُ لَنْ يَصِلَ إِلَى الْمُنْهَجِ السَّلِيمِ فِي الْإِنْفَاقِ، وَلَنْ يَنْجُوَ مِنْ شَرِّ الْإِمْلَاقِ، إِلَّا إِذَا سَلَكَ لِلْسَّلَامَةِ طَرِيقَهَا، وَجَهَّزَ لِلنَّجَاةِ أَسْبَابَهَا، وَوَضَعَ لِنَفْسِهِ ضَوَابِطَهَا، هَذَا وَإِنْ مِنْ السُّلُوكِ الْخَاطِئِ الْجَرِيِّ السَّرِيعِ خَلْفَ مُخْتَلَفِ الدَّعَايَاتِ، وَالْإِنْفَاقِ بِلا حِسَابَاتٍ، فَيُظَنُّ أَنْ لَا حَدَّ لِلشَّرِّ مَا دَامَتِ السُّيُولَةُ مُتَوَفِّرَةً، مِنْ غَيْرِ تَفْكِيرٍ فِي عَوَاقِبِ ذَلِكَ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلِ الْأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا يُلْجَأُ الْمَرْءُ إِلَى الْاسْتِدَانَةِ لِيَجْرِيَ وَرَاءَ ثَرَاءٍ مَزْعُومٍ، فَتَجِدُهُ مَشْغُولًا بِتَتَبُعِ الْمَعَارِضِ وَالْأَسْوَاقِ، بَعِيدًا عَنِ التَّفْكِيرِ فِي ضَوَابِطِ التَّثْمِيرِ وَالْإِنْفَاقِ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْجَيْبُ مِنَ الْمَالِ، وَعَجَزَ عَنِ تَوْفِيرِ حَاجَاتِ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُقْرِضُهُ

(١) سورة الإسراء / ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الإنسان / ٨-١٢.

(٣) سورة الإسراء / ٢٩.

لِسُلُوكِهِ السَّيِّئِ فِي سِدَادِ الْأَمْوَالِ؛ ظَهَرَتْ عِنْدَهُ الْمُشْكَلاتُ، وَكَثُرَتْ فِي بَيْتِهِ الْخَلَافَاتُ، إِذْ صَارَ يَعْجِزُ عَنِ الْإِنْفَاقِ حَتَّى عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ، وَعِنْدَهَا يَعْضُّ عَلَى أَصَابِعِ النَّدَمِ، وَيَبْنُ مِمَّا أَوْرَثَهُ سُلُوكُهُ مِنَ الْمَعَانَاةِ وَالْأَلَمِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :

إِنَّ الْقُطْبَ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَى الاستهلاكِ الرَّشِيدِ يَتَمَثَّلُ فِي الْإِحْسَاسِ بِمَا فِي الْمَالِ مِنْ حَقٍّ لِلْآخَرِينَ، وَوَأَجِبَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (١)، وَمَا لَمْ يَشْعُرِ الْمَرْءُ بِهَذَا الْحَقِّ وَيَحْرِصُ عَلَى آدَائِهِ، فَلَنْ يَرشُدَ اسْتِهْلَاكُهُ، وَكَمْ سَعِدَتْ مُجْتَمَعَاتٌ كَانَتْ التَّكَاوُلُ طَبَعَهَا، وَالتَّرَاحُمُ سِمَتَهَا وَمَنْهَجَهَا، هُنَاكَ يَذْهَبُ الْحَسَدُ وَتَزُولُ الشَّحْنَاءُ، وَيَسُودُ التَّعَاوُنُ وَالنَّمَاءُ، وَيَتَحَقَّقُ الصَّلَاحُ، وَيَظْفَرُ الْجَمِيعُ بِالْفَلَاحِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢)، إِنَّ خِصَالَ الْخَيْرِ وَصِنَائِعَ الْمَعْرُوفِ الَّتِي حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ فِعْلِهَا مُتَعَدِّدَةٌ الطَّرِيقِ وَاسِعَةُ الْأَبْوَابِ، فَالْمُجْتَمَعُ الْحَضَارِيُّ الرَّاشِدُ نَتَهِياً فِيهِ الْفُرْصُ لِأَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَبَدَلَ الْمَعْرُوفِ لِلْإِخْوَانِ، وَمَا أَعْظَمَ الْأَجْرَ الَّذِي يَنَالُهُ مَنْ يَسْعَى فِي قِضَاءِ حَاجَةِ إِخْوَانِهِ، وَيُفَرِّجُ كُرْبَ أَقْرَابِهِ وَخُلَانِهِ، إِذْ يَنَالُ ذَلِكَ الثَّوَابَ فِي مَوْقِفٍ هُوَ أَحْوَجُ فِيهِ إِلَى الْحَسَنَاتِ، فَعَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ، يَفْرَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، أَوْلَيْكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، وَرُويَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: ((أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى مُؤْمِنٍ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْرِصُوا عَلَى تَرْشِيدِ اسْتِهْلَاكِكُمْ، وَأَسْهَمُوا فِي الرُّقِيِّ بِمُجْتَمَعَاتِكُمْ، بِرِعَايَةِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ؛ تَكُونُوا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْفَائِزِينَ.

(١) سورة الذاريات / ١٩.

(٢) سورة الحشر / ٩.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،
وَأَدْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِي الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ :

إِذَا كَانَ إِرْشَادُ الْإِسْلَامِ لِلْمُسْتَهْلِكِ كَمَا رَأَيْتُمْ، وَتَوَجُّيْهُهُ لِلْمُنْفِقِ كَمَا عَلِمْتُمْ، فَإِنَّ مِمَّا لَا يَصِحُّ أَنْكَارُهُ، وَلَا يُمَكِّنُ تَجَاهُلُهُ وَإِغْفَالُهُ، أَنْ شَرِيحَةَ مِنَ النَّاسِ يَنْقُصُهَا الْوَعْيُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، وَتَقْتَرُ إِلَى التَّوَجُّيْهِ الَّذِي يَقِيهَا شَرَّ الْمَهَالِكِ، وَلِذَلِكَ كَانَ التَّوَجُّيْهِ بِذَلِكَ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْمُغَالَطَاتِ الَّتِي تَقَعُ فِي بَعْضِ الْإِعْلَانَاتِ التَّرْوِيجِيَّةِ، فَإِنَّ لِهَذِهِ الدَّعَايَاتِ بَرِيقًا قَدْ يُعْمِي كَثِيرًا مِنَ النَّاضِرِينَ، وَيُضِلُّ جَمْعًا غَيْرَ قَلِيلٍ مِنَ الْمُتَسَوِّقِينَ، وَإِذَا كَانَ عُقْلَاءُ الْعَالَمِ يُنَادُونَ بِضُرُورَةِ حِمَايَةِ الْمُسْتَهْلِكِينَ، فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نُوجِّهَ دَعْوَةً إِلَى الْمُسْتَهْلِكِينَ التَّجَارِيَّةِ، بِضُرُورَةِ التَّقْيِيدِ بِالْقِيمِ فِي إِعْلَانَاتِهَا الدَّعَائِيَّةِ، وَيَبْدَأُ ذَلِكَ مِنْ إِصْلَاحِ النِّيَّةِ، فَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى))، فَلَا ضَيْرَ عَلَى التُّجَّارِ أَنْ يُعْلِنُوا عَنْ مَزَايَا سِلْعِهِمْ، وَخِصَائِصِ خِدْمَاتِهِمْ، لِيَطَّلَعَ الْمُسْتَهْلِكُونَ عَلَى مَا يُنَاسِبُ حَاجَاتِهِمْ، مِنْ غَيْرِ كَذِبٍ وَلَا تَضْلِيلٍ، وَلَا تَدْلِيْسٍ وَلَا تَهْوِيلٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِحَايَتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾^(١)، فَالصِّدْقُ رَكِيزَةٌ أَسَاسِيَّةٌ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ، لَا سِيَّمَا فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، فَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((الْبَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَنْفَرَقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ

بِيعَهُمَا))، وَمِنْ لَوَازِمِ الصَّدَقِ فِي الدَّعَايَاتِ، عَدَمُ الْمُبَالِغَةِ فِي الْإِطْرَاءِ لِلْمَبِيعَاتِ، فَالدَّعَايَةُ الْمُضَلَّلَةُ تُورِثُ الْمُشْتَرِيَ نَدَمًا، لِكَوْنِهِ لَمْ يُحِطْ بِحَقِيقَتِهَا عِلْمًا، وَهِيَ مُخَالَفَةٌ لِلتَّعَاوُنِ الْمَطْلُوبِ وَالتَّصَاحُحِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ، إِنَّ الْقَاعِدَةَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَاضِرَةً مَرْعِيَّةً، هِيَ أَنَّهُ: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))، وَكَمَا لَا يَصِحُّ الْإِضْرَارُ بِالْمُسْتَهْلِكِينَ، كَذَلِكَ لَا يَصِحُّ الْإِضْرَارُ بِبَقِيَّةِ التُّجَّارِ وَلَا سِيَّمَا الْمُبْتَدِئِينَ، الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ مُجَارَاةَ الشَّرَكَاتِ الْكُبْرَى فِي إِعْلَانَاتِهَا، وَلَا مُنَافَسَتِهَا فِي دَعَايَاتِهَا، وَمِنْ هُنَا يَأْتِي دَوْرُ الْمَوْسَسَاتِ الرَّسْمِيَّةِ، وَالْهَيْئَاتِ الرَّقَابِيَّةِ، فِي الْقِيَامِ بِوَأَجِبِ حِمَايَةِ الْمُسْتَهْلِكِ وَحِفْظِ حُقُوقِهِ وَحَقُوقِ صِغَارِ التُّجَّارِ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))، وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي لِلْمُسْتَهْلِكِ أَنْ يَنْتَبِهَ لَهُ، أَنَّهُ هُوَ الْمَسْئُولُ الْأَوَّلُ عَنِ الْحِفَافِ عَلَى مَالِهِ، فَلْيَنْظُرْ بَعَيْنَ الْعَاقِلِ إِلَى كُلِّ دَعَايَةٍ، وَلْيَحْرِصْ عَلَى عَدَمِ الْجَرِي إِلَى سِلْعٍ لَيْسَ لَهُ بِهَا حَاجَةٌ، فَإِنَّ التَّاجِرَ يَحْرِصُ عَلَى زِيَادَةِ نِسْبَةِ مَبِيعَاتِهِ، وَالْمَرْءُ مَسْئُولٌ عَنِ تَصَرُّفَاتِهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ (١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَكُونُوا فِي بَيْعِكُمْ وَشِرَائِكُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ، وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.
هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،

(١) سورة الطور / ٢١ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ
فِيْنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا
صَالِحًا زَكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا
طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرِ
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.